إلهام والتكيف تصوير القيم الأخلاقية في أشعار أبي تمام باستخدام آيات من القرآن رمزاً للأخلاق

علي محمد رضايي
ماجستير اللغة العربية وآدابها، جامعة أصفهان، إيران
alimohammad150@yahoo.com

Inspiration and adaptation depicting moral values in the poems of AbiTammam using verses from the Qur'an as a symbol of morality

Ali Muhammad Rezaei
MA in Arabic Language and Literature, University of Isfahan, Iran

الملخص:

إن وظيفة القيم الأخلاقية – كما حددها القرآن الكريم – قد تتجاوز في أحيان كثيرة الفرد والمجتمع إلى إطار أرحب وأوسع، ألا وهو مجال العلاقات الدولية في وقتي السلم والحرب على السواء.

وكان للشعراء سهم كبير في إنتشار القيم الإجتماعية، والإنسانية والأخلاقية؛ ونتاجهم الشعري كان غذاء للعقل والرّوح معاً، وينهاهم عن الشرّ وأيضاً الشاعر بشعره، كان يذيع القيم، لأن أدبه يستقطب إهتمام كثير من القرّاء، ويشدّهم إليه، لما له من أثر في تثقيف الشّعب، والوصول به إلى درجة رفيعة من النواحي الخلقية والإجتماعية باعتبار أنّ الشّعر، جامعة للقيم الأخلاقية. لذلك نريد في هذا المقال تحليل تعديلات أبي تمام للقرآن بطريقة وصفية و تحليلية و التعبير عن الصور الأخلاقية في شعره. وعلى الرغم من كثرة الدراسات التي نشأت حول الشاعر ومذهبه الفني فإن جوانب دقيقة في شعر الشاعر ما تزال في حاجة إلى مزيد من الأضواء لإستجداء ومعرفة أسرارها، ومن ذلك أنّ كلّ من يقرأ ديوان أبي تمام تدهشه كثرة المفردات الأخلاقية والإنسانية. وكان أبو تمام يعتقد أنّ المجتمع يكاد يخلو من القيم الإنسانية والأخلاقية، وأحاطت الكوارث الأخلاقية بالناس، لذلك إستعمل شعره إنقاذاً لمجتمعه عن المساوئ، ولكي يؤثر شعره، إستفاد من لسان عصره، والحكمة تصدر عن خبرة طويلة، وتجربة عميقة، إن الشاعر كان يتكئ على القيم الإنسانية من خلال ثقافته الإسلامية الواسعة، وحفظه القرآن الكريم، وجمال التّعبير في قوله حين يتحدّث عن القيم الاخلاقية. القرآن الكريم يطرح لنا الأخلاق على شكل نماذج لأنبياء الله وعباده الصالحين مع أقوامهم، أو على هيئة أوامر ونواه. وقد وصف القرآن الكريم خلق النبي ﷺ. كما أن الأخلاق في المفهوم الإسلامي، تقوم على التكامل بين الجانبين النظري والعملي. القيم الإنسانية، والإجتماعية مصدرها فطرة الناس السّليمة التي أهداها الله إلى كل الناس. ونتائج هذا المقالة ظهر ذلك. ويستفيد أبو تمام من الآيات القرآنية في أشعاره رمزاً للأخلاق. كان أبو تمام يجعل فكرة التقوى مرتبطة بالأخلاق ويعتقد بأن الأخلاق بدون التقوى لا قيمة لها والتقوى هي مصدر اعتزاز الإنسان وفخره، وما سوى ذلك فهو ذل وهوان، وأن أهل التدين والصلاح هم أهل الفضل الحقيقي، ويرى أبو تمام أن الجود من التقوى، وهو لا يتعلق بكون المرء فقيراً أو غنياً بل بكونه مؤمناً تقياً. إن أبا تمام يصر على ربط الأخلاق بالتقوى والكرم، وبدون ذلك لا تعني الأخلاق شيئاً في مقايس أبي تمام الأخلاقي.

الكلمات المفتاحية: القرآن، التكيف، القيم الأخلاقية، الشعر العربي، القيم الإنسانية، أبو تمام.

Abstract:-

The function of moral values - as defined by the Noble Qur'an - may in many cases extend beyond the individual and society to a broader and broader framework, which is the field of international relations in times of peace and war alike ،And the poets were, and are, a major contributor to the spread of social, human and moral values; And their poetic product was nourishment for the mind and the soul together. He forbids them from evil and also the poet with his poetry, he used to spread the values, because his literature attracts the interest of many readers and draws them to it, because of its effect on educating the people, And accessing it to a high degree of moral and social aspects, considering that poetry is a collection of moral values. Therefore, in this article, we want to analyze AbiTammam's amendments to the Qur'an in a descriptive and analytical manner and express the moral images in his poetry. In spite of the many studies that arose about the poet and his artistic doctrine, subtle aspects of the poet's poetry still need more lights to beg and learn their secrets. Hence, everyone who reads AbiTammam'sdiwan is surprised by the abundance of moral and human vocabulary, and Abu Tamam's opinion that society is almost devoid of human and moral values. Moral calamities surrounded the people, so he used his poetry to save his community from faults, and in order to affect his poetry, he benefited from the tongue of his interval, Wisdom comes from a long experience and a deep experience. The poet used to rely on human values through his vast Islamic culture and memorizing the Noble Qur'an. And see the beauty of the expression in his saying when he talks about the values of morality. The Noble Qur'an presents to us morals in the form of models for God's prophets and righteous servants with their people, or in the form of orders and intentions. The Noble Qur'an described the creation of the Prophet, may God's prayers and peace be upon him. Also, in the Islamic concept, ethics is based on complementarity between the theoretical and the practical sides. Human and social values come from the sound instinct of people, which God has given to all people. The results of this article show that Abu Tamam uses the Qur'anic verses in his poetry as a symbol of morality. Abu Tamam used to make the idea of piety linked to morals and believed that morals without piety are worthless, and piety is the source of man's pride and pride. The tragedy of that is humiliation and dishonor, and that the people of religiosity and righteousness are the people of true virtue. Abu Tamam believes that generosity is a result of piety, and it is not related to being a poor ethnic person, but rather to being a pious believer. Aba Tamam insists on linking morality with piety and generosity, without which morality does not mean anything in Abu Tammam's moral standards.

Key words: adaptation, Qur'an, moral images, Arabic poetry, Values, Abu Tamm.

المقدمة:

القرآن الكريم يطرح لنا الأخلاق على شكل نماذج لأنبياء الله وعباده الصالحين مع أقوامهم، أو على هيئة أوامر ونواهٍ: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ (العنكبوت: ٤٥) وقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا . . .﴾ (التوبة: ١٠٣). وقال الله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ (البقرة: ١٩٧)وسبحانه وتعالى يجعل قيمة التقوى الرصيد الأخلاقي الذي لا ينفد، قال الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ (البقرة: ١٩٧). وبين أن الإعراض عن ذكر الله خلق سيء يقود إلى ضياع السعادة وجلب الشقاء، قال الله تعالى ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ (طه: ١٢٤). والعكس صحيح فذكر الله جالب للسعادة قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨). وأما نبينا محمد ﷺ يرى أن حسن الخلق ثمرة الإيمان قال ﷺ (أكملُ المؤمنينَ إيماناً أحسنُهم خُلُقاً) (سعيد الخن وآخرون، ١٩٨٨: حديث ٢٨٥/١-٢٨٠). وقد وصف القرآن الكريم خلق النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤)

٢-٣ القيم في القرآن والتقوى وأثرهما في شعر أبي تمام

يستفيد أبو تمام من الآيات القرآنية في أشعاره رمزاً للأخلاق:

- قال يمدح نوح بن عمرو السَّكسكيَّ: (تبريزي، ١٩٦٥م: ٧١/٣).

أُشْدُد يَدَيك بحبلِ نوحٍ مُعصَماً ... تَلقاه حَبلاً بالنَّدَي مَوصولا

ذاك الذي إن كانَ خِلَّك لم تَقُل ... يا ليتني لَم أَتَّخِذه خليلا

نرى في هذه الأبيات أنه يستفيد من سورة الفرقان لأجل تعميق قيمة المصاحب الكريم والندي وهذا يشير بأن أبا تمام يريد أن يصطبغ الأخلاق بالقرآن لأجل وصف الكرم وجماله في ممدوحه.

يشير بالآية ٢٨ سورة الفرقان: ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾.

٤- قال يمدح أحمد بن المعتصم:(تبريزي، ١٩٦٥م: ٢٤٩/٢-٢٥٠).

إقـــدامُ عمـــرٍو في سَـــماحةِ حـــاتمٍ ... في حلـــمِ أحنـــفَ في ذكـــاء إيـــاس
لا تنكـــروا ضَـــربي مـــن دونـــهِ ... مـــثلاً شَـــروداً في النَّـــدي والبـــاسِ
فـــاللهُ قـــد ضَـــربَ الأقـــلَّ لنـــورِهِ ... مـــثلاً مـــنَ المِشـــكاةِ والنِّـــبراسِ

فقد استمد الشاعر بعض الرموز العربية الدالة على المعاني الأخلاقية فعمرو بن معدي يكرب كان رمزاً للشجاعة والإقدام عند العرب، وحاتم الطائي كان رمزاً للسماحة والجود، وأحنف بن قيس كان رمزاً للحلم، وإياس بن معاوية كان رمزاً للذكاء. فأبو تمام استند في بناء القيم الذي ذكرتُ على الموروث الثقافي العربي، من جهة، والموروث الإسلامي من جهة أخرى حين اقتبس بعض صور القرآن الكريم من قوله تعالى يشير بالآية ٣٥ سورة النور: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾. ليتحقق الأصالة في المفهوم الخلقي والصورة الفنية على حد سواء. فالإسلام يقرر أن الأخلاق ترجع إلى أصل واحد هو التقويس. أما الفلاسفة فإنهم يردون الأخلاق إلى أصول عدة ترجع إلى ما في العقل من نوازع، فالحكمة فضيلة النفس الناطقة المميزة، والعفة فضيلة الحس الشهواني، والشجاعة فضيلة النفس الغضبية (انظر ابن مسكويه، ١٩٥٩: ١٨).ولكن من الواضح أن رد الفروغ إلى أصل واحد يعطي الأخلاق شيئاً من التوسع والاستيعاب من جهة، ويطبع المفردات الأخلاقية المحددَ تحت المفهوم نوعاً من الانسجام والوحدة والالتقاء فيمّا بينها. وهذا ما نلمسه في الأخلاق الإسلامية التي ترجع إلى أصل واحد وهو التقوى. ولكن الميزة التي تضيفها الفلسفة إلى الأخلاق أنها ترتب المفردات الأخلاقية في مساقات معينة وفقاً للأنواع، وتبني النتائج على المقدمات وفقاً للدلالات والأولويات، وهي من ثم تعين على فهم الموضوع الأخلاقي وتحليل عناصره. ويمكننا ترتيب أصول الفضائل على النحو التالي مع الأخذ بالنظرتين الإسلامية والفلسفية: تَبيِّنُ لنا فيما سبق أن الأخلاق في التصور الإسلامي ترتد إلى عنصر إيماني أصيل وهو التقوى، فهو جماع الفضائل والأخلاق كما قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ١٩٧).

وقال تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات:١٣).

وترتبط بالتقوي مجموعة الأخلاق والفضائل الإسلامية العالية منها **العفو**، قال تعالى

﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (البقرة:٢٣٧).

ومنها **العدل**، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨).

ومنها **الصدق** قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (الزمر:٣٣).

ومنها **الوفاء بالعهود**، قال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران:٧٦).

ومنها **الصبر** قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٦).

ومنها البر قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾ (البقرة: ١٨٩).

ومنها **الإصلاح** قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (النساء: ١٢٩).

ومنها الإحسان، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء:١٢٨).

ومنها **العطاء، الإنفاق** قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ (الليل: ٥).

ومنها **الجهاد** قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة: ١٢٣). عرفنا فيما سبق أن التقوى هو أصل الأخلاق الإسلامية الفاضلة أما الأخلاق السيئة فعلى العكس من ذلك ترتد إلى إرادة فاسدة واعتقاد فاسد ينبعان من عدم خشية الله، وعصيان أوامره ونواهيه. وذلك أن من سلك طريق الضلال فإنما يسلك سبيلاً معوجة ويفعل أفعالاً قبيحة وأخلاقاً سيئة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (الأحزاب:٣٦). ويترتب على ضلال المنهج أو الطريق ضلال السلوك والأخلاق فالإنسان الذي يضل عن غايته الرئيسة في الحياة ينشغل بغايات أخرى فاسدة تمليها عليه طبيعة فاسدة منحرفة كذلك، يخضع لها ويهتدي بها

فتقوده إلى الشر و الضلال. وبذلك نرى ارتباط الأخلاق المرذولة بالمعتقدات الفاسدة والأفكار الضالة والفهم الخاطيء.

٢-٤ الكرم

الكرم سجية البذل والعطاء والإنفاق، ولكن النفس مفطورة على حب التملك.

ذكر صاحب اللسان في معنى الكريم: ((الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل، والكريم: اسم جامع لكل ما يحمد) (لسان لعرب ماده ((كرم)).وقال بعض العلماء: (الكرم هو اسم واقع على نوع من أنواع الفضل، ولفظ جامع لمعاني السماحة والبذل، فكل خصلة من خصال الخير، وخلة من خلال البر، وشيمة تعزى إلى مكارم الأخلاق، وسجية تضاف إلى محاسن الطبائع والأعراق فهي واقعة على اسم الكرم، فالكرم أبداً واقع على كل فعل من الأفعال المرضية لازم لكل حال من الأحوال الجليلة السنية) (ابن هذيل، ١٤٠١/ ١٩٨١: ١٠٥- ١٠٦).وقد يطلق الكرم إطلاقاً عاماً. للدلالة على الأفضلية والحسن في الأخلاق والسلوك، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات:١٣). فقد اتخذ الله التقوى مقياساً للتفاضل بين الناس وأجرى هذا المقياس على الكرم خاصة دون غيره من الفضائل لأنه الفضيلة الجامعة التي تلتقي عندها شتي الفضائل. ليس ثمة فرق كبير بين الجود والكرم فكلاهما يفيد الإنفاق الكثير إلا أن الكرم يتصف بالشمول بحيث يدخل فيه أنواع من الخير والشرف والفضائل(لسان العرب مادة كرم).أما الجود فهو يتجه إلى التميّز في خلق الإنفاق والعطاء. أي أن الكرم يشكل البعد الأفقي لخلق العطاء بينما الجود يشكل البعد العمودي لهذا الخلق. أما السخاء فهو (هيئة للإنسان داعية إلى بذل المقتنيات، حصل معه البذل أو لم يحصل، وذلك خلق، ويقابله الشح) (الأصفهاني، ٤١٢:١٩٧٣).. والشاعر بهذا المعنى يثري مفهوم الجود بجعل الجود باعثاً أخلاقياً شاملاً وأصيلاً للقيمة الخلقية والفعل الشريك للكرم والعطاء.

١-٥ فضائل الأخلاق عند أبي تمام

ينهل أبو تمام منه لأنّه هو الذي يبلّ الصدّى، ويغذّي الرّوح، وأنظر جمال التّعبير في قوله حين يتحدّث عن قيمة الصّبر، ليخلص إلى أنّ الطّاعة والقبول بما قدّر الله

يوليان الأجر:

فَصبراً ففي الصّبر الجلالَةُ وَالتُّقى ... ولا إثمَ إن خُبّرت أنّك جازِعُ

فقَد يأجُرُ اللّهَ الفَتي وَهو كارِهٌ ... وما الأجرُ إلّا أجرُهُ وهوَ طائِعُ

(حاوي، ١٩٧٣: ٦٧٥)

ويؤكد في حكمه أن تحقيق المعالي، والقيم، والوصول إليها لا يكون عن طريق القول الذي لا طائل منه، وإنما يكون ذلك التحقيق بالعمل الفعليّ فعلى الإنسان أن يلزم العلم بالعمل، يقول:

إذا المرءُ أبقَى بَينَ رأييهِ ثُلمةً ... تُسدَّ بِتَغنيفٍ فلَيسَ بِحازِمِ

(المصدر نفسه: ٥٣٣)

وأدرك أبو تمام أنّ علّة شيوع المساوئ، هي قلّة إعمال العقل في الأمور الدّينية، والدّنيوية، فألحّ في كثير من حكمه على إعمال العقل، الذي يحدّد الأشياء، ويستنتج منها ما قبله العقل، ويصنفه، ويحكمُه في شعره، فيخرجه كما خطّط له، ذلك أنّه يدرك الأشياء بعقله، مع عدم إغفال ما يعاني منه في نفسه، فهو حكيم في التّوفيق بينهما، وإقامة القوية بينهما، أنظر قوله:

فإنَّ الفَتي في كلِّ ضربٍ مناسَبٌ ... مَناسِبَ روحانيةٍ مشنٍ يشاكلُ

وَلم تَنظِمِ العِقدَ الكعَابُ لِزينةٍ ... كمَا تَنظِمُ الشّملَ الشّتيتَ الشّمائِلُ

(المصدر نفسه: ٤٧٠)

فالبيت الأول يمثّل حكومة إفتراضية، تدور حول العلائق الرّوحية، التي تؤلّف بين ذوي النّسب الواحد، والأخر يبرهن الأول ويدعمه، ذلك أنّ القيم المتماثلة تجمع، وتؤلف بين أصحابها، كما تجمع الحسناء بحبات العِقد، وتؤلّف بينها، وفيما يلي ذكرت بعض أشعاره التي أنشدها في الدّعوة إلى القيم بلسان الحكمة:

أنشد في الرّغبة عن الدّنيا:

عفاءٌ على الدّنيا طويلٍ فإنّها ... نفرّق من حيث إبتدت تتجمّعُ

(التبريزي، ٢٠٠٥م: ٢/٢٢٣)

وقال في الحياء والعفّة:

فـــلا والله مـــا في العَـــيش خـــيرٌ ولا الـــدّنيا إذا ذهـــب الحيـــاء

إذا لم تخـــش عاقبـــة اللّيـــالي ولم تَســـتَحي فافعَـــل مـــا تشـــاء

(المصدر نفسه: ٣١١/٢)

وله في الدعوة إلى الوفاء، وعدم الخيانة:

رأيـــت الحـــرّ يجتَنِـــبُ المَخـــازِي ويحمِيـــه عـــن الغـــدر الوفـــاء

(المصدر نفسه: ٣١١/٢)

٢-٤-١ صورة الجواد أو الكريم النفسية

يرى الشعراء أن الظواهر النفسية التي تبدو على الكريم هي أثر لما في داخل نفس الممدوح من معاني الكرم.

فالسرور والفرح اللذان يبدوان على هيئة الكريم هما صورة نفسية للقناعات الداخلية في نفسه حيال السلوك الأخلاقي الذي يقوم به. وهذه المظاهر النفسية تتعلق بعنصر الرغبة تجاه السلوك الأخلاقي، الذي أشرنا إليه من قبل. فالرغبة الداخلية في النفس الإنسانية هي التي أحدثت علامات السرور والفرح على الهيئة الخارجية للكريم. والعلامات النفسية التي تظهر على الكريم حين يفعل هذا الخلق كثيرة منها:

أ- البشر وطلاقة الوجه: يقول أبو تمام (ت٢٣١هـ) في مدح عمر بن طوق بن مالك بن طوق التغلبي (ديوان أبي تمام: ١٠١/١).

ومُرحِـــبٍ بـــالزائِرينَ وبِشـــرهُ يُغنيـــكَ عـــن أهـــلٍ لديـــه ومرحـــبِ

ونلاحظ أن الشاعر يعلي من قيمة أثر النفس فيجعله موازياً للسلوك الأخلاقي.

قـال الخطيـب التبريـزي في شـرح قولـه: (عـن أهـل لديـه ومرحـب) يحتمـل وجهين:أحدهما أن يريد أن النازل به يغني عن أهله وبلاده الرحبة، والأخر أن يكون المعني أن بشره الذي يظهر في وجهه تطيب به نفس الزائر فيستغني عن أن يقال له أهلاً ومرحباً) (ديوان أبي تمام: ١٠١/١).

بيد أن قوله (أهلاً ومرحباً) يتحول في سياق آخر إلى سلوك عملي، نجد ذلك حين يمدح عياش بن لهيعة الحضرمي بقوله (ديوان أبي تمام: ١٥٢/١).

إذا قال أهلا مرحبا نبعت لهم ... مياه الندي من تحت أهل ومرحب

ج - ومن المظاهر النفسية التي تصاحب خلق الكرم، وتقوي مفهومه، **ظاهرة الاهتزاز للعطاء والإنفاق**، وهذه الدلائل النفسية تعكس فيها قيمة أصلية في مفهوم الكرم، وهي أن الكرم يجري في نفس الكريم سجية وطبعاً لا تصنعاً وتكلفاً، ثم هو يرتقي إلى أعلي درجات الكرم، وهذا ما يهدف إليه الشاعر في صفة الكرم وخلق الكريم، يقول أبو تمام في مدح أبي دلف العجلي(ديوان أبي تمام: ٢٠٤/١).

إذا حركته هزة المجد غيرت ... عطاياه أسماء الأماني الكواذب

وهنا صفة للخلق ذاته حيث يحيل الأماني والأمال إلى وقائع ملموسة وشواهد منظورة.

أ - **فالكريم** هو الذي يعطي دون أن يخدش مشاعر سائليه بل يحفظها ويصونها، وذلك من سمات اكتمال خلق الكرم، يقول أبو تمام (ديوان أبي تمام: ٢٤٤/١).

أعطي ونطفة وجهي في قرارتها ... تصونها الوجنات الغضة القشب

فليس شرطاً أن يكون الكريم صاحب غني وثراء بل يكفيه ثراء الأخلاق والفضائل، وليس مانعاً أن يكون الكريم فقيراً معدماً، بل الفقر والعدم يكون في قلة الأخلاق والآدب، يقول أبو تمام (ديوان أبي تمام: ٢١٥/٣).

لا يحسب الإقلال عدماً بل يرى ... أن المقل من المروءة معدم

واتجه الشعر العربي في هذه الفترة نحو تأصيل هذه المعاني من الناحية النظرية على حساب الناحية السلوكية التي لمسناها في العصر الجاهلي والعصور التي كانت فيها السيادة للنزعة العربية.

ولذا فالكريم الحق هو الذي ينفق أحب ما لديه، ولو دفع إلى إنسان ليس أهلاً لذلك، يقول أبو تمام (ت٢٣١هـ) في مدح أبي دلف العجلي (ت٢٢٦هـ) (ديوان أبي تمام: ٢٠٥/١،

الهدى: العروس).

إذا مـــا غـــداد أعـــدي كريمـــة مالـــه هـــديا ولـــو زفـــت لألأم خاطـــب

ج- ومن الظواهر السلوكية لخلق الكرم، الإحسان في العطاء والظهور بمظهر المذنب حين يطلبه السائلون كأن لهم حقاً عليه أي أن الممدوح يعطي عطاء المحسن ويعتذر اعتذار المذنب، و هذه من أبهي صور الكرم وأكثرها اتساعاً، يقول أبو تمام في مدح عياش بن لهيعة الحضرمي (الديوان السابق: ١٤٧/١).

أخـــو أزمـــات بذلـــه بـــذل محســـن إلينـــا، ولكـــن عـــذره عـــذره مـــذنب

ويقول في مدح مالك بن طوق التغلبي (الديوان السابق: ٩٩/١).

يعطـي عطـاء المحسـن الخضـل النـدي عفـــوا ويعتـــذر اعتـــذار المـــذنب

د- ومن الظواهر السلوكية أن يكون خلق الكرم سجية وطبعاً في الممدوح: والقيمة الحقيقة التي يضيفها الطبع والسجية لمفهوم الكرم تتمثل في عناصر متعددة وهي التي ذكرت من قبل، وهي:أن يعطي عطاء إحسان لايبغي به شيئاً آخر، وأن يعطي من أحب ماليه، فيخرج السائلون من عنده فرحين بعطائه وحسن استقباله. ولذا فقد امتدح الشعراء السجية في خلق الكرم للأسباب الآنفة الذكر، قال أبو تمام يمدح أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبانة (ديوان أبي تمام: ١٥٦/٢ – ١٥٧، الحرار: العطاش).

نـــؤوم أبـــا الحســـين وكـــان قدمـــاً لـــه فـــتى أعمـــار موعـــده قصـــار
لـــه خلـــق نهـــي القـــرآن عنـــه وذاك عطـــاؤه الســـرف البـــدار
ولم يـــك منـــك إصـــرار ولكـــن تمـــادت في ســـجيتها البحـــار
يطيـــب لجـــوده ثمـــر الأمـــاني وتـــروي عنـــده الهمـــم الحـــرار
رفعـــت كواعـــب الأشـــعار فيـــه كمـــا رفعـــت لناظرهـــا المنـــار

يشير أبو تمام إلى أن ممدوحه يعطي بسخاء يصل إلى درجة الإسراف الذي يذمه القرآن، ولكن الشاعر يخرج الممدوح من هذا الذم بتعليل أن الذم لا يقع عليه لأنه لا يتعمد العصيان والذنب، ولكن يغلبه طبعه.

وقال أبو تمام في مدح المعتصم إنه يواظب على العطاء والإنفاق على وتيرة واحدة، ورعاية تامة مستمرة دون انقطاع، ودون أن يبدي تعللاً أو يظهر تماطلاً يقول: (ديوان أبي تمام: ١١/٣).

لـــه ريـــاض نـــدي لم يكـــب زهرتهـــا ... خلـــف ولم تتبختـــر بينـــها العلـــل

بل إن الكريم هو الذي يحيل آمال من يسأل نواله إلى أموال تنساب في أيدي السائلين والعفاة كقول أبي تمام في مدح الحسن بن رجاء (ديوان أبي تمام:٧٧/٣).

تـــرد الظنـــون بـــه علـــى تصـــديقها ... ويحكـــــم الآمـــــال في الأمـــــوال

وإنما كرهت المماطلة لأن المماطلة تتحرك باتجاه البخل حين يؤخر الممدوح العطاء، ولذلك اعتبرت المماطلة آفة الجود لأن استمرارها واستفحالها قد يقرب الجود من البخل و هذه الفكرة تتعمق في فكر أبي تمام، وتأخذ تفصيلاً أوسع، وفلسفة واعية بأبعادها، وإلماماً بأجزائها، لتتحول بعد ذلك إلى نظرية خلقية أو حكمة نفهم بها الحياة والأحياء، يقول(ديوان أبي تمام ١٥٩/٢).

وكـــان المطـــل في بـــدءٍ وعـــودٍ ... دخانـــا للصـــنيعة وهـــي نـــار
نســـيب البخـــل مـــذ كـــان وإلا ... يكـــن نســـب فبينـــهما جـــوار
لـــذلك قيـــل بعـــض المنـــع أدني ... إلى كـــرم وبعـــض الجـــود عـــار

قال التبريزي (أي تتأذي ـ الصنيعة ـ بالمطل كما يُتأذى بالدخان، فكما أن المحمود من النار: أن تخلص من الدخان، كذلك المحمود من العطاء، خلوصه من المطل). وقال المرزوقي في شرح البيت الأخير: (من المنع ما هو أقرب إلى كرم المعطي، إذا كان أجلب لراحة الطالب، ومن العطاء ما هو ذم وعار، وذلك إذا كدره المطل، وأخره عن وقته التسويف والدفاع) (ديوان أبي تمام ٢/هامش ١٥٩). - ومن الصور التي يتعمق الكرم هنا اتباع الجود لصاحبه، وهناك ما هو أبلغ من اتباع الجود لصاحبه، هناك الاتباع المذهبي فالجود يتبع المذهب الديني للممدوح، نجد ذلك في قول أبي تمام في رثاء إدريس بن بدر الشامي القرشي وكان شيعياً (ديوان أبي تمام: ٩٥/٤-٩٦).

وَلم أنـــسَ ســـعي الجـــودِ خلـــف ســـريرهِ ... بأكسَـــف بـــالٍ يســـتقيمُ ويظلـــعُ
وَتَكـــبيرَهُ خمســـاً عَلَيـــهِ مُعالِنـــاً ... وَإِن كـــانَ تكـــبيرَ المُصَـــلِّينَ أَربَـــعَ

وَمـا كنـتُ أَدرِي - يعلَـمُ اللهُ - قَبلَهـا بِـأَنَّ النَّـدَي فِي أَهلِـهِ يتَشَـيع

فذكر أن الجود كبر عليه خمساً لأن الميت شيعياً فأراد أن الجود اتبع مذهبه.

يعـزونَ عَـن ثـاوٍ تعـزِي بـه العُـلا ويبكـي عَليـهِ الجـودُ والبـأسُ والشِـعرُ

وفي بيت أبي تمام السابق نجد أن المصيبة لا تقع على الكريم وحده بسبب موته بل تقع كذلك على الوسيلة وهي الشعر، والفعل وهو الجود، والغاية وهي العلا، وذلك للتأكيد على ارتباط خلق الكريم بصاحبه.

- وأحياناً يبدو الجود وصاحبه شيئاً واحداً، في علاقة وجودية متكاملة ينتفي أحدهما بانتفاء الآخر، ويبقي ببقائه، كما نجد في قول أبي تمام في مدح محمد بن حسان الضبي (ديوان أبي تمام: ٣٢١/٣).

لـولا ابـن حسـان مـات الجـود وانتشـرت منـاحس البخـل تطـوي كـل إحسـان

وفي الرثاء نجد أن موت الكريم يعني موت الكرم وانتفاء الجود كما نرى في قول أبي تمام يرثي هاشم بن عبدالله الخزاعي (الديوان السابق ١٣٠/٤).

ألمـا فهـذا مصـرع البـأس والنـدي وحسـب البكـا إن قلـت مصـرع هاشـم

ـ وربما تتسع علاقة الممدوح بالكرم لتدخل الشعر معها باعتبار أن الكرم حافز للشعر، والشعر لسان له، قال أبو تمام في رثاء خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني (ديوان أبي تمام: ٦٦/٤).

تقلـص ظـل العـرف فِي كـل بلـدةٍ وأطفـيءَ فِي الـدنيا سـراج القصـائد

وقد تصبح العلاقة بين الممدوح والشعر كالعلاقة بين الممدوح والكرم كما بينا من قبل، وذلك لإعلاء قيمة الشعر وجعلها قيمة أخلاقية مثل الكرم، لأنها وسيلة الشاعر التي يمدح بها الممدوح، فأصبح الشعر يعزي على فقد صاحبه ويبكي مثل غيره من المفردات الأخلاقية التي افترق عنها الفقيد، قال أبو تمام يرثي محمد بن حميد (ديوان أبي تمام: ٨٢/٤).

يعـزون عـن ثـاوٍ تعـزي بـه العـلا ويبكـي عليـه الجـود والبـأس والشـعر

وفي بيت أبي تمام السابق نجد أن المصيبة لا تقع على الكريم وحده بسبب موته بل تقع

كذلك على الوسيلة وهي الشعر، والفعل وهو الجود، والغاية وهي العلا، وذلك للتأكيد على ارتباط خلق الكريم بصاحبه.

- إن الكريم عند أبي تمام بنبله وكرمه ولّد في نفسه وقدات الشعورية من الرغبة والرهبة، ولانت عليه الألفاظ والتراكيب وانطلق في إنشاد شعره دون تعثر تحت تأثير ذلك الانفعال القوي الذي أحدثه فيهم كرم الممدوحة.

ويقول أبو تمام (ت ٢٣١ هـ) في مدح أبي المستهل محمد بن شقيق الطائي (ديوان أبي تمام ٧٤/٣):

وهل للقريض الغض أو من يحوكه ... على أحد إلا عليك معول!
لهن امرأ أثني عليك بأنّه ... يقول وإن أربي فلا يتقول
سهلن عليك المكرمات فوصفها ... علينا إذا ما استجمعت فيك أسهل

وتتطور هذه العلاقة تطوراً بالغاً عند أبي تمام لتصبح العلاقة بين الشعر والجود مسألة حياة أو موت، ووجود أو عدم، يقول (ديوان أبي تمام: ٢٩٢/٢).

وحياة القريض إحياوك الجو (م) ... دفإن مات الجود مات القريض

ويبدو أن الشعراء مدركون تماماً لأهمية الكرم والعطاء في إثارة انفعال الرغبة في نفس الشاعر ليسهل له بعد ذلك قرض الشعر.

وربما تطور المدح في نظر الشعراء ليصبح في حد ذاته قيمة جمالية فنية، يقول أبو تمام في مدح إسحاق بن إبراهيم (ديوان أبي تمام: ٣٤٣/١)،

فلم أمدحك تفخيما بشعري ... ولكني مدحت بك المديحا

إن أبو تمام يتخذ مدح الممدوح حيلة فنية ليزداد جمال شعره ويتخذ من مدح ممدوحه لإثراء شعره بالمعاني الأخلاقية الفاضلة، وبذلك كان الأخلاق باعثاً لتنشيد شعره.

- **وصورة الكرم** التي رسمها الشعراء تتخذ بعدين: الأول يشيع الخوف والقلق والفزع في نفوس من ينافس الممدوح، والبُعد الثاني: يشيع الطمأنينة والأمان في نفوس العفاة والسائلين الذين يطلبون نوال الممدوح، قال أبو تمام يمدح محمد بن عبدالملك الزيات، ويعاتبه (ديوان أبي تمام: ٩٨/٣-٩٩).

أبـــا جعفـــر أجريـــت في كـــل تلعـــةٍ لنـــا جعفـــراً مـــن فـــيض كفيـــك سلســـلا
فكـــم قـــد أثرنـــا مـــن نوالـــك معـــدناً وكـــم قـــد بنينـــا في ظلالـــك معقـــلا
رجعـــت المـــني خضـــراً تـــثني غصـــونها علينـــا وأطلقـــت الرجـــاء المكـــيلا

فكرم الممدوح أمواج متدفقة هائلة، ولكنها ظلال وأفياء على السائلين والعفاة. وهو أي الكرم - بحر عميق - حين يضاف إلى الممدوح، ولكنه سواحل ينتعش فيها السائلون وينتفعون، قال أبو تمام يمدح المعتصم (ديوان أبي تمام: ٢٩/٣).

هـــو الـــيم مـــن أي النـــواحي أتيتـــه فلجتـــه المعـــروف والجـــود ســـاحله

- نظراً لأهمية الجود في الأخلاق العربية والإسلامية، فقد اتخذ أبو تمام من أشياء مهمة في حياة العربي، وهي: الماء، ويستفيد منها لتعزيز القيمة الخلقية، والمثل الأعلى لها.

وقال أبو تمام (ت ٢٣١ هـ) يمدح خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني (ديوان أبي تمام: ١٩٤/١).

يجـــفُّ الثـــري منـــها وتربـــك لـــين وينبـــو بهـــا مـــاءُ الغمـــام ومـــا تنبـــو

وفي الرثاء يتسع مفهوم الكريم التي رسمها الشعراء للكرم وللأحوال التي آلت إليها بعد موت الكريم

وقال أبو تمام يرثي محمد بن حميد الطائي (ديوان أبي تمام: ٨٤/٤).

وكيـــف احتمـــالي للســـحاب صـــنيعة بإســـقائها قـــبراً وفي لحـــده البحـــر

وتمتليء قصائد الشعراء في الرثاء بأحاسيس مفعمة بالحزن والأسى لفقدان الفقيد الذي كانت تتجسد فيه معاني الكرم والجود، فاليأس يخيم على الوجوه، بدل الآمال العريضة التي كان يمنحها الميت قبل موته، والسرور يتحول إلى بكاء وحزن، والحركة تتحول إلى قعود ويأس، قال أبو تمام في رثاء عمير بن الوليد (ديوان أبي تمام: ٥٩/٤ وانظر رثاءه لهاشم بن عبدالله الخزاعي: ١٣٠/٤).

رأيـــت مؤمليـــك غـــدت علـــيهم عـــوادٍ أصـــعدتهم في كـــؤود
وكلـــهم أعـــدَّ اليـــأس وقفـــا عليـــك و نـــص راحلـــة القعـــودِ

- الشجاعة والبطولة والفداء عند أبي تمام من منظر الإسلامي:

الشجاعة والقتال في منظور أبو تمام كان مفهوم إسلامي، فالشجاع أو البطل هو الذي يقاتل دفاعاً عن الإسلام، وفي سبيل الله، ولإعلاء كلمته وإذلال أهل الكفر والزيغ والضلال. إن الشجاعة أو القتال ميدانها بين إسلام وكفر. وفي بعض أبياته يجمع بين خلق الشجاعة والجهاد وكلتاهما تتجهان إلى طاعة الله وعبادته. والشجاعة هي أهم وسائل الدفاع عن العقيدة الإسلامية، فلذلك اكتسبت مفهوماً إسلامياً.

وفي بعض أشعاره يجمع الجهاد والحج، لأن الجهاد يقي المسلمين من الخطر الخارجي الذي يهددهم، والحج يوحد مشاعر المسلمين داخل كيان إسلامي، وتحقيق هذين الفضيلتين يعد أفضل الفضائل الأخلاقية.

والحج والجهاد عند أبي تمام توأمان أو وجهان لشيء واحد هو شدة التدين والإيمان، ولذا فالركوب إليهما يحتاج إلى رحلة شاقة وعزيمة قوية. وربما جمع أبو تمام بين فريضة الحج والجهاد من حيث تفاصيلهما وشرائعهما ليوحد بين المفهومين ويجعلهما صفة واحدة لاتتجزأ في نفس الممدوح، وكان يساعده في ذلك وجود عادة لدى الأبطال الفاتحين وهي أنه عقب انتصارهم في المعركة يتجهون إلى أداء فريضة الحج. ومن ذلك مدح أبي تمام لأبي سعيد محمد بن يوسف حين خرج من عمورية إلى مكة يريد الحج، قال أبو تمام (ديوان أبي تمام: ٣/٩١- ٩٣).

حطت إلى مدة الإسلام أرحله ... والشمس قد نفضت ورسا على الأُصل
ملبيا طالما لبى مناديه ... إلى الوغى غير عديدٍ ولا وكل

ومحرماً أحرمت أرض، العراق له ... من الندي واكتست ثوباً من البخل
وسافكا لدماء البدن قد سفكت ... به دماءُ ذوي الإلحاد والنحل
ورامياً جمرات الحج في سنة ... رمي بها جمرات اليوم ذي الشعل
يردي ويرقل نحو المروتين كما ... يردي ويرقل نحو الفارس البطل
تقبل الركن ركن البيت نافلة ... وظهر كفك معمور من القبل
لما تركت بيوت الكفر خاويةً ... بالغزو آثرت بيت الله بالقفل
والحج والغزو مقرونان في قرنٍ ... فاذهب فأنت زعاف الخيل والإبل

٢- ومن معاني الجهاد الانتصار للعقيدة الإسلامية ورفع شأن أصحابها، و تحقير الشرك وإذلال أصحابه، كما نرى في قصيدة أبي تمام في مدح المعتصم حين افتتح عمورية (ديوان أبي تمام: ٤٦/١).

فتح تفتح أبواب السماء له ... وتبرز الأرض ي أثوابها القشب
يا يوم وقعة عمورية انصرفت ... منك المني حفلا معسولة الحلب
أبقيت جد بني الإسلام ي صعدٍ ... والمشركين ودار الشرك في صبب
خليفة الله جازي الله سعيك عن ... جرثومة الدين والإسلام والحسب

ولا يفارق الحس العربي شعر أبي تمام فالنصر للإسلام هو نصر للعروبة والعرب، لأنهم سدنة الإسلام وحماته، وأي مفخرة للإسلام هو فخر للعرب، قال في القصيدة نفسه:

أبقت بني الأصفر المراض كاسمهم ... صفر الوجوه وجلت أوجه العرب

وهكذا يتعانق الإحساس الإسلامي بالإحساس العربي في شعر أبي تمام (انظر المحاسني، ١٩٦١: ١٤٥- ١٤٦).

٢-٧ البطولة

أبو تمام يقول حول إيمان المقاتلين وتثبيت أقدامهم حين يمدح المعتصم ويذكر وقعاته في الخرمية يقول: (التبريزي، ١٩٥١: ١٤٠/٣).

وعِشيةُ التَّلِّ الذي نعشَ الهُدي ... أُصُلُ لها فَخمٌ من الآصال
نَزَلَت ملائكةُ السماءِ عليهمُ ... لما تداعى المسلمون نَزَالِ
لم يكسَ شَخصٌ فَيأه حتى رمى ... وقتُ الزّوال نعيمه بزوال

ولم تبتعد عن الشاعر ذكرى معارك المصير التي خاضها العرب قبل الاسلام مثل ذي قار وأيام المسلمين في بدر وأحد والخندق فقد أصبحت وجهاً من وجوه إستذكاره، وصوتاً متميزاً من أصوات الاستلهام الذي إستعاد به أمجاد العرب وهم يقفون وجهاً لوجه أمام التحديدات التي جابها عصره (ينظر ديوان أبي تمام، المصدر السابق: ٣٨٢/١، ٤٤/٢، ١٩٢/٣، ٣٠٠/٣، ٣٠٥/٣، ٥٦٦/٤، ١٧٧/١-١٢٥-٢١٧، ٦٩/٢، ١٣٩/٢، ٣٠٧/٣، ٢٠/٢).

واستخدم الشاعر الألوان في قصيدته إستخداماً مناسباً فالبطل الذي يسقط مضجراً

بدمه في ساحة المعركة يظل اللون الأحمر الذي تضمّخ به جسده الطاهر هو اللون المتميز في انهار لأهل الدنيا ولكنها تصبح زاهية خضراً من سندس وهي لباس الشهداء من أهل الخلود(التبريزي، ١٩٥١: ٨١/٤).

تـــردّى ثيـــابَ المـــوت حمـــراً فمـــا أتـــى لهـــا الليـــلُ إلا وهـــي مـــن سُـــندس خُضـــرُ

- ويحاول الشعراء إضفاء معانٍ إسلامية على مفهوم الشجاعة والبطولة، وذلك بربط معارك المسلمين في هذا العصر بما كانت عليه معارك المسلمين في العصر الأول من الإسلام، وخاصة معارك الرسول صلى الله عليه وسلم كمعركة بدر الكبرى التي نصر الله فيها الإسلام على الشرك، قال أبو تمام يمدح المعتصم، عقب فتح عمورية (ديوان أبي تمام: ٧٣/١).

إن كـــان بـــين صـــروف الـــدهر مـــن رحـــم موصـــــولةٍ أو ذمـــــام غـــــير منقضـــــب
فـــبين أيامـــك الّـــلاني نصـــرت بهـــا وبـــين أيـــام بـــدرٍ أقـــرب النســـب

ولكن ظل لمعنى المجد والعلياء أهمية في مفهوم الشجاعة، فالمجد والعلياء هما غاية الشجاعة مثلما كانا غاية الكرم.

فقد أصبح طريق المجد والعلياء في خلق الشجاعة كأنه مخلوق من حديد، قال أبو تمام في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف الطائي (ديوان أبي تمام:٣٩/٢):

عليمـــا أن ســـير قـــل في المعـــالي أذا مـــا بـــات يرفـــل في الحديـــد

وتبكي الشجاعة فقيدها، كما قال أبو تمام في رثاء محمد بن حميد (ديوان أبي تمام:٨٢/٤):

يعـــزون عـــن ثـــاوٍ تغـــزي بـــه العـــلا ويبكـــي عليـــه البـــأس والجـــود والشـــعر

٤- والشهادة في سبيل الله من أجل الغايات وأرفعها التي يسعى إليها المجاهد في سبيل الله، ولذا حرص أبو تمام على إبراز هذه الصفة في ممدوحيهم وفي رثاء أبطال الإسلام، يقول أبو تمام في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف:

يتســـاقون بـــالوغى كـــأس مـــوتٍ وهـــي موصـــولة بكـــأس رحيـــق

إنهم يقبلون على الموت ويتعاطونه كما يتعاطون الشراب لثقتهم الإيمانية بأن عاقبة الاستشهاد الفوز بشراب رحيق أهل الجنة.

وقال أبو تمام في رثاء محمد بن حميد (ديوان أبي تمام: ٨١/٤).

غـــدا غـــدوة والحمـــد نســـج ردائـــه ... فلـــم ينصـــرف إلا وأكفانـــه الأجـــر
تـــردي ثيـــاب المـــوت حمـــرا فمـــا دجـــى ... لهـــا الليـــل إلا وهـــي مـــن ســـندس خضـــر

البطولة و الجهاد عناصر متداخلة في مفهوم الشجاعة، فالبطل الشهيد(محمد بن حميد) يحقق أقصي درجاتها، لأنه يتجه إلى غايته مبكراً دونما تأخر أو تباطؤ، ثم يتصاعد المفهوم علواً حين يسير البطل إلى الفداء والاستشهاد في رضا وطمأنينة وإصرار على الوصول إلى هذه الغاية النبيلة، إلى أن تحقق له ذلك، فكان عاقبة ذلك نيل الأجر والمثوبة. وقد تحقق مفهوم الشجاعة في عناصر عدة منها: الإسراع إلى تحقيق الغاية (غداغدوة) وسلامة التوجه والفعل والتضحية (الحمد نسج ردائه)، (تردي ثياب الموت) ونجاح الغاية الدال على سلامة المقدمات (أكفانه الأجر)، (من سندس خضر).

٢-٨ العدالة

تعد العدالة من المفاهيم العامة التي يندرج تحتها مجموعة من المفردات الأخلاقية الجزئية، ولذا فإن للمفهوم عدة إطلاقات: فقد يطلق على القيمة الخلقية التي بمعنى العدل المخالف للظلم، وقد يطلق على المقياس الأخلاقي لأي قيمة خلقية أخرى كذلك (راجع لسان العرب مادة عدل). لأن ثمة عوامل متعددة تنبع من الدين والعادات والتقاليد والأعراف، ومن نزعات الهوى والمصلحة، وهي التي تشكل مفهوم العدالة. فبينما نجد العدالة عند فلاسفة اليونان ومن تأثر بهم من مفكري المسلمين تقوم على فكرة الوسط الأرسطية التي ترى أن (العدل وسط أطرافه كلها جور، فالجور هو الخروج عن الوسط بزيادة أو نقصان) (الأصفهاني، ١٩٧٣:٣٥١). ومن الملاحظ أن التصور الفلسفي لمفهوم العدل تصور خاطيء لأنه اعتبر الزيادة على الحق الثابت جوراً لأنه انتقل إلى إحدى الرذيلتين بالزيادة ولكن الأمر مختلف في التصور الإسلامي الذي يعتبر الزيادة على الحق الثابت إحساناً، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النحل:٩٠). لأن العدالة أم الفضائل كلها (الأصفهاني، ١٩٧٣:٣٥٠). والعدالة غاية سامية وهدف كريم يسعى إليه كل إنسان

خلوق، والإنسان مجبول على محبة العدل (فكل نفس سليمة تلتذ وترتاح بسماعه وتتألم من ضده) (المرجع السابق: ٣٥١).ونظراً لأن العدل نظام كل شيء على النحو الذي ذكر من قبل، فإن كثيراً من الفضائل تندرج تحته لأن بالفضائل تستقيم الحياة (قال ابن الأعرابي العدل: الاستقامة. (لسان العرب مادة عدل))، وينعم الإنسان، قال الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢ هـ) (والعدل تارة يقال هو الفضائل كلها من حيث أنه لا يخرج شيء من الفضائل عنه، وتارة يقال هو أكمل الفضائل من حيث أن صاحبه يقدر أن يستعمله في نفسه، وفي غيره، وهو ميزان الله المبرأ من كل ذلة وبه يستتب أمر العالم)(١٩٧٣: ٣٥٠). وقد أدرج ابن مسكويه جملة من الفضائل تحت فضيلة العدالة فقال:(الفضائل التي تحت العدالة: الصداقة، الألفة، صلة الرحم، المكافأة، حسن الشركة، حسن القضاء، التودد، العبادة، ترك الحقد، مكافأة الشر بالخير، استعمال اللطف، ركوب المروءة في جميع الأحوال، ترك المعاداة، ترك الحكاية عمن ليس بعدل مرضي، البحث عن سيرة من يحكي عنه العدل، ترك لفظة واحدة لا خير فيها لمسلم فضلاً عن حكاية توجب حداً أو قذفاً أو قتلاً أو قطعاً، ترك السكون إلى قول سفلة الناس وسقطهم، ترك قول من يكدي بين الناس ظاهراً وباطناً أو يلحف في مسألة أو يلح بالسؤال، فإن هؤلاء يرضيهم الشيء اليسير فيقولون لأجله حسناً ويسخطهم إذا منعوا اليسير فيقولون لأجله قبيحاً) (ابن مسكويه، ١٩٥٩: ٢٢-٢٣).ولو أمعنا النظر في هذه المفردات الخلقية التي تندرج تحت العدالة لوجدنا أخلاقاً أخرى تتصل بها مما لم يذكرها ابن مسكويه. اهتم أبو تمام بإبراز قيمة العدالة لدى الأمراء والولاة والقضاة من خلال إبراز القدرات الأخلاقية في الممدوحية.- كان مدح القضاة عند أبي تمام يتلائم مع فضيلة العدالة في أعلى صورها، ونرى المعنى الإسلامي أكثر حضوراً في عدالة القضاة وهو ما يتلائم مع عملهم الذي يتطلب مزيداً من العدل والأمانة والتقوى، يقول أبو تمام (ت ٢٣١ هـ) في مدح حبيش بن المعافي قاضي نصيبين بالقيمة العدالة، فيقول (ديوان أبي تمام: ٣٠٣/١-٣٠٥).

إلى خير من ساس الرعية عدله ... ووطد الهدي فاستقرت

حبيش حبيش بن المعافى الذي به ... أمرت حبال الدين حتى استمرت

أقرعمود الدين في مستقره ... وقد نهلت منه الليالي وعلت

ونادى المعالي فاستجابت نداءه ... ولو غيره نادى المعالي لصمت

وأحيا سبيل العدل بعد ثوره ... وأنهج سبل الجود حين تعفت

ويجزيك بالحسنى إذا كنت محسناً ... ويغتفر العظمى إذا النعل زلت

إذا ظلمات الرأي أسدل ثوبها تطلع فيها فجره فتجلت

فقيم العدالة في بيت أبي تمام يتجه صعداً إلى الإحسان و التفضل والعفو، ومن القضاة الذين مدحهم أبو تمام القاضي أحد بن أبي دؤاد (ديوان أبي تمام: ١٨٢/٣- ١٨٣):

إذا سيفه أضحى على الهام حاكماً غذا العفو وهو في السيف حاكم
فقد هز عطفيه القريض توقعاً لعدلك مذ صارت إليك المظالم

حيث نلمح قيم العدالة في مدح القضاة يتحرك بين الحق الثابت، والإحسان.

ـ مفهوم **العدالة** عند أبي تمام كان أكثر وضوحاً واتزاناً وأدق ضبطاً من الشعراء، فهو يوازن بين وظائف الممدوحين، وخصائص مفهوم العدالة بحيث لا يخرج مدحه عن مفهوم العدالة يقول أبو تمام في مدح إسحاق بن إبراهيم الذي كان والياً للشرطة: (ديوان أبي تمام: ٣/ ١٦٨- ١٧٣).

إن الخليفة لما صال كنت له خليفة الموت فيمن جار أو ظلما
لم يطغ قوم وإن كانوا ذوي رحم إلا رأي السيف أدنى منهم رحما
إذا هم نكصوا كانت لهم عقلاً وإن هم جمحوا كانت لهم لجما
حتى انتهكت بحد السيف أنفسهم جزاءَ ما انتهكوا من قبلك الحرما
ثم انصرفت ولم تلبث وقد لبثت سماء عدلك فيهم تمطر النعما
تغدو مع الحرب للأرواح مغتنماً فإن سئلت نوالاً رحت مغتنما
فالمجد طوعك ما تعدوك همته أكنت مهتضما أو كنت مهتضما

ـ حيث نرى العدالة تتحرك بين (الحق الثابت) في خلق الشجاعة فالممدوح ينتهك الأعداء جزاء ما انتهكوا حرمات المسلمين، (والإحسان) في خلق الكرم حيث أصبح الممدوح مغنماً للناس ينتهبون عطاياه كرماً وإحساناً. و من الملاحظ في أبيات أبي تمام أن العدالة والإحسان يختلف حضورهما من خلق لأخر، فبينما نجد العدالة أكثر حضوراً في أخلاق الشجاعة وميادين القتال والحرب نجد الإحسان أكثر حضوراً في أخلاق الجود والكرم، وميادين العطاء والإنفاق، لأن الكرم خلق اجتماعي يمارس داخل المجتمع الإسلامي، أما الشجاعة فسلوك يتعامل به الممدوح مع الخارجين عن الهدي والنظام، فاستعمل الإحسان مع من لم يفعل ظلماً وهم السائلون والعفاة، واستعمل العدل مع

الخارجين ممن بدأوا بالظلم والاعتداء، والصورتان هنا ـ صورة الشجاعة، وصورة الكرم ـ توديان إلى هدف عام يسعي إليه كل إنسان وهو الطمأنينة التي لاتتحقق إلا بالسيف الذي يدفع الخوف، وبالجود الذي يدفع الفقر، فقال أبو تمام في نفس القصيدة (ديوان أبي تمام: ١٧٥/٣):

إذا أتي يلـــــدا أجلـــــت خلائقـــــه عـــن أهلـــه الأنكـــدين: الخـــوف والعـــدما

وقال يمدح مالك بن طوق التغلبي (ديوان أبي تمام: ١٨٧/٣).

خـــدوا هنيـــاً مريئـــاً يـــا بـــني جشـــمٍ منـــه أمـــانينمن خـــوفٍ ومـــن عـــدم

(وهنا تلتقي وظيفتا الممدوح: الدينية التي تخلص الروح من قلقها بدحر الخوف عنها والدنيوية التي تخلص النفس من همومها بدحر الفقر)(الرباعي، ١٩٨٠: ١٢٦).

ولا غرابة إذن من أن يركز الشعر العربي على هذين المعنيين الشجاعة والجود لأنهما يحققان مطلباً عزيزاً لدى العربي، وهو الشعور بالطمأنينة التي كان يفقدها في الجاهلية بسبب غارات الحروب والسلب، وحالات القحط والجدب. فكان الإسلام نعمة كبيرة للعربي ولغيره حين أمّنه من ويلات الحرب، والفقر حين حث على الجهاد والإنفاق في سبيل الله. قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ١٩٥). وقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٦).

٢-٩ الصبر

الصبر من الفضائل العامة التي تندرج تحتها جملة من الأخلاق والصفات الحميدة، منها:

١- نقيض الجزع (لسان العرب مادة صبر).

٢- الجراءة: ومنه قوله تعالى ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ (البقرة: ١٧٥) أي ما أجرأهم على أعمال أهل النار.

٣- الحلم: (قال أبو إسحاق: الصبور في صفة الله عزّ وجل: الحليم، وفي الحديث: لا أحد أصبر - على أذى يسمعه - من الله عزّ وجل، أي أشد حلماً على فاعل ذلك، وترك المعاقبة عليه) (لسان العرب مادة صبر).وقال صاحب اللسان معنى الحليم: (الحليم في صفة الله عزّ وجل، معناه الصبور، وقال معناه أنه الذي لا يستخفه عصيان العصاة، ولا يستفزه الغضب عليهم، ولكنه جعل لكل شيء مقداراً، فهو منته إليه) (لسان العرب مادة حلم). وتتردد هذه المعاني الأخلاقية السابقة في مفهوم الصبر عند العلماء والفلاسفة، فقد يأتي الصبر بمعناه الحقيقي العام. يقول ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) (الصبر خلق كسبي يتخلق به العبد، وهو حبس النفس عن الجزع والهلع والتشكي، فيحبس النفس عن التسخط، واللسان عن الشكوى، والجوارح عما لا ينبغي فعله، وهو ثبات القلب على الأحكام القدرية والشرعية) (ابن قيم، ١٩٩١: ٢٤١).

وقد يأتي بمعان متعددة، يقول الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ). (الصبر ضربان: جسمي ونفسي، فالجسمي: هو تحمل المشاق بقدر القوة البدنية...وليس ذلك بفضيلة تامة.. والثاني نفسي: وبه تتعلق الفضيلة، وذلك ضربان: صبر عن تناول المشتهي ويقال له العفة، وصبر على تحمل مكروه أو محبوب ولذلك تختلف أسماؤه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان ذلك في نزول مصيبة فإنه لم يتعد به اسم الصبر، ويضاده الجزع والهلع والحزن، وإن كان في محاربة سمي شجاعة ويضاده الجبن، وإن كان في إمساك النفس عن قضاء وطر الغضب سمي حلماً، ويضاده التذمر، وإن كان في نائبة مضجرة سمي سعة الصدر، ويضاده ضيق الصدر والضجر والتبرم، وإن كان في إمساك كلام في الضمير سمي كتمان السر، ويضاده الإفشاء، وإن كان في الإمساك عن فضولات العيش سمي قناعة وزهداً، وهذا يضاده الشره والحرص، ويكون الصبر عاماً، قال الله تعالى ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ (البقرة: ١٧٧). فذكر أنهم يصبرون في البأساء أي في الفقر، والضراء أي في المصيبة، وحين البأس أي في المحاربة.. فإن قيل ما معنى قول النبي ﷺ (الصبر نصف الإيمان) قيل لما كان جميع المحامد ضربين ترك الشر، ويعبر عنه بالصبر، وفعل الخير ويعبر عنه بالشكر، صار الصبر الذي هو ترك الشر نصف الإيمان) (الأصفهاني، ١٩٧٣: ٣٢٦- ٣٢٧).والحديث ❖الصبر

نصف الإيمان❖ موجود في (المنذري، ١٩٦٠: ٢٧٧/٤)، قال المناوي، ١٩٧٢: ٢٣٣/٤) - ومنها العزيمة وثبات القلب، واليقين بأن غاية الصبر نبيلة وعاقبته السلامة والعافية.

فالصبر إذن هيئة نفسية لموقف الإنسان أمام الأشياء والأعمال في الكون والحياة. ونظراً لتوسع مفهوم الصبر ودخول فضائل عامة تحته مثل الكرم والشجاعة، فإننا سنعرض هنا للفضائل والأخلاق الجزئية التي أخذت حيزاً محدوداً في الشعر العربي في هذه الفترة، أما الفضائل الكبرى فقد أفردناها في مباحث سابقة مستقلة. ويعد مفهوم الصبر الذي جاء بمعنى الصبر على الأشياء والأعمال التي يكرهها الإنسان ويبغضها، مثل الموت والفقر، من أكثر معاني الصبر تردداً في الشعر العربي. أما مفهوم الصبر بمعنى الصبر على الأعمال التي يحبها الإنسان ويشتهيها فإنها أقل وروداً في الشعر العربي، ولكنها وردت بشكل واسع في شعر الزهد. وقد جاء مفهوم الصبر في شعر أبي تمام تحت المعاني التالية:

٢-٩-١ الصبر على مصيبة الموت

قال أبو تمام (ت٢٣١هـ) يرثي القاسم بن طوق (ديوان أبي تمام: ١١١/٤):

عليك أبا كلثوم الصبر إني ... أرى الصبر أخراه تقي وأوائله

تعادل وزنا كل شيءٍ ولا أرى ... سوى صحة التوحيد شيئاً يعادله

يدعو أبو تمام إلى الصبر لأنه فضيلة أخلاقية ودينية، فالصبر نصف الإيمان، فأوله وآخره تقي لأن الباعث إليه والغاية منه هو الرضا بقضاء الله وقدره وابتغاء الإجر والمثوبة منه تعالى، و هو ما يعبر عنه في الفكر الإسلامي بالنية، قال ﷺ (إنما الأعمال بالنيات) (أخرجه البخاري، ١٣٠١ق: ٩/١)

وقال أبو تمام يرثي ابن نوح بن عمر بن حوي، ويخاطب أباه (ديوان أبي تمام: ١٩٤/٤):

فصبراً ففي الصبر الجلالة والتقى ... ولا إثم إن خبرت أنك جازع

فقد يأجر الله الفتى وهو كاره ... وما الأجر إلا أجره وهو طائع

يقرر أبو تمام أن التقى مادة الصبر كما يقرر أن الجزع الذي يكون بمثابة الرحمة على الميت وليس اعتراضاً على قضاء الله و قدره لا يطعن في صحة الصبر، لأن الله يأجر الإنسان

وهو كاره للمصيبة راض بالقضاء. ولأن الصبر في مقام الرضا لا يدل على تبلد المشاعر والأحاسيس الإنسانية فالبكاء على الميت [على وجه الرحمة حسن مستحب، وذلك لا ينافي الرضا، بخلاف البكاء عليه لفوات حظه منه، وبهذا يعرف قول النبي صلى الله عليه وسلم لما بكى على الميت و قال: ((إنَّ هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماءَ) فإن هذا ليس كبكاء من يبكي لحظه لالرحمة الميت، فإن الفضيل بن عياض لما مات ابنه على، ضحك وقال: رأيت أن الله قد قضى فأحببت أن أرضى بما قضى الله به: حاله حال حسن بالنسبة إلى أهل الجزع، وأما رحمة الميت مع الرضا بالقضاء وحمدالله تعالى كحال النبي صلى الله عليه وسلم فهذا أكمل، كما قال تعالى ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ (البلد:١٧) فذكر سبحانه التواصي بالصبر والمرحمة].

ابو تمام جعل جزع الأب على ابنه من قبيل الرحمة عليه مع التسليم بالرضا بقضاء الله وقدره، ولذلك قال (لا إثم إن خبرت أنك جازع. والصبر في تصور أبو تمام هدف ديني ومطلب أخلاقي. لأن الصابر رضي بقضاء الله وقدره والجازع بسبب جزعه لم يكن راض من قضاء الله وقدره، وهذه قضية في جوهر الدين، ويتوجه إلى صحة الاعتقاد، لأن الإيمان بهما من الأركان الأساسية للإيمان الصحيح. أما المطلب الأخلاقي في قيمة الصبر فقد جاء مرافقاً للغاية الدينية، يقول أبو تمام (ديوان أبي تمام: ١٤٠/١، طراً: جميعاً):

ومن لم يسلم للنوائب أصبحت خلائقه طراً عليه و ثوائبا

لأن الإنسان إذا فقد عنصر الصبر، تحولت شتى أخلاقه إلى مصائب عليه، لأن الصبر هو المقوم الأساس للأخلاق. فالكرم صبر على البذل والعطاء، والشجاعة صبر على الإقدام و ثبات على القتال، والعفة صبر على الشهوات، والحلم صبر على أذى الناس. ودون الصبر تنقلب هذه الأخلاق إلى رذائل و مصائب خلقية فيصير الكرم بخلاً. و الشجاعة جبناً، والعفة تهتكاً ومجوناً، والحلم تذمراً و...الخ.

ـ والصبر على الفقر غنى لمن لم يرزق المال، قال أبو تمام(ت٢٣١هـ)

إن العزاءَ وإن فتي حُرم الغني رزق جزيل لامرىء لا يرزق

يقول التبريزي في معنى هذا البيت: ((أن الصبر على الحرمان والرضا بمحتوم القضاء

نعمة من الله ـ عزّ وجل ـ على من حرم الغني، فإذا وفق الإنسان الذي لم يرزق أعراض الدنيا فقد رزق، والعزاء والصبر والتسلي والقناعة متقاربة في المعنى) (ديوان أبي تمام: ٣٩٤/٤). يرى أبو تمام إن الفقر يكون في قلة المروءة و ليس في قلة المال، يقول أبو تمام (ديوان أبي تمام:٢١٥/٣).

لا يحسب الإقلال عدماً بل يري أن المقل من المروءة معدم

وذلك أن المروءة تعطي الرجل ثقة بنفسه، واستغناء عن الآخرين، وهذا هو الغنى الحقيقي، لأن الغني هو أن يستغني الإنسان عن غيره، ولأن الفقر والغنى أمور نسبية، فقد صارت الناحية الأخلاقية ضابطاً لهما، وهي المعتبر فيهما. فالفقر قد يتحول إلى غنى حقيقي حين يضاف إلى الفقر نبل الأخلاق، والغنى قد يتحول إلى فقر حقيقي حين يفقد المرءُ الأخلاق النبيلة.

٢-٩-٢ الصبر عند الغضب(الحلم)

وهذا هو الحلم، لأن الحلم كما يقول ابن عدي في تهذيب الأخلاق (ترك الانتقام عند شدة الغضب مع القدرة على ذلك) (فخري، ١٩٧٩: ٩٤/٢). فمن بين ترك الانتقام والقدرة عليه، يتولد الصبر، وهذا هو العامل المشترك بين الحلم والصبر. وكأن الحليم يصبر على أمرين الأول في ترك الانتقام والثاني في القدرة عليه. وقد يصبر الإنسان على ترك الانتقام لكنه لايقدر على الانتقام من خصمه، وهذا هو صبر الضعفاء، و هو بالمذلة والهوان أقرب (الماوردي، بلات: ٢٤٨- ٢٤٩). ولكن الحليم من يصبر على الأمرين ترك الانتقام، والقدرة على الانتقام من خصمه. (والحليم في صفة الله عزّ وجل: معناه الصبور، وقال معناه أنه الذي لا يستخفه عصيان العصاة ولا يستفزه الغضب عليهم، ولكن جعل لكل شيء مقداراً فهو منته إليه) (لسان العرب مادة حلم). ويلتقي الحلم مع الحكمة باعتبار أن الأناة والتعقل مادة الحلم، وهي كذلك مادة الحكمة، لأن كلاً من الحكمة والحلم من تأثير العقل (انظر الأصفهاني، ١٩٧٣: ٣٤٢).

يقول الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢ هـ) (وأما العفو و الصفح فهما صورتا الحلم ومخرجاه إلى الوجود، والعفو هو ترك المؤاخذة بالذنب، والصفح ترك التثريب) (المصدر السابق). وجعل الماوردي (ت ٤٥٠ هـ) العفو سبباً من أسباب الحلم، مستدلاً بما روي عن

النبي صلي الله عليه و سلم أنه قال (إذا قدرت على عدوك، فاجعل العفو شكراً للقدرة عليه) (انظر المارودي، بلات: ٢٤٥). ـ وقد **جاء الحلم** لدى أبو تمام تحت معان متعددة منها:

مآخذ القيم الأخلاقية في شعر أبي تمام

٣-١ ظواهر الطبيعة

لجأ أبو تمام إلى ظواهر الطبيعة في اقتباس المفاهيم الأخلاقية وتعميق هذه المفاهيم في ذهن الانسان، لأن الظواهر في الكون تمثل قيماً ثابتة في مفهومها ومتوازنة في سماتها وخصائصها ومحددة في غاياتها وأهدافها. ولكن هذه القيم تكون في نفس الإنسان مضطربة وقلقة، فليلجأ الإنسان إلى الظواهر الكونية ليدفع اضطرابه بالهدوء وقلقه بالاطمئنان وحيرته باليقين.

ويشير القرآن الكريم إلى أن في صفحة الكون من الآيات والعبر والدلالات ما تجعل حياة الإنسان أكثر غنى وصلاحاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: ١٩٠).في هذه الآية وغيرهما من الآيات الكثيرة في القرآن دعوة للإنسان بأن يوجه تفكيره إلى بدائع صنع الله في هذا الكون، فهي من جهة تدل على عظمة الله فيقوي الباعث الإيماني في نفس الإنسان، وهي من جهة ثانية تطبع بعض سماتها وخصائصها على فكر الإنسان وسلوكه وتعامله مع غيره. وهكذا تصبح صفحات الكون مصدراً غنياً يمد الإنسان بالقيم والدلالات والمعاني التي تساعده في ضبط حياته وسلوكه. إن أبا تمام أختار من الطبيعة الصور التي تنطوي على قيمة خلقية أو معنى ديني ذي دلالات خاصة تدعم وجهة النظر الدينية، مثل إثبات وحدانية الله، وأسمائه وصفاته الحسنى، ونحو ذلك. والصور التي لها ارتباط بحياة الإنسان العربي منذ القدم، وتحمل هذه الصور الدلالات والمعاني التي تبين أصالة المبادئ والقيم التي يؤمن بها العربي في تاريخه الطويل. والصور الذهنية والنفسية والشعورية من خلال إدراك العقل والوجدان. وسنتناول هنا أهم الصور التي اختارها أبو تمام ودلالتها الأخلاقية.

ويمكننا أن نقسم الصور المختار إلى عدة أقسام:

١- صور مختارة من الكون والطبيعة.

٢- صور مختارة من العلاقات الإنسانية والقرآنية والمرأة.

ولنأخذ بعض الصور المختارة من الكون والطبيعة ودلالاتها على القيمة الأخلاقية.

٣-١-١ الماء

الماء عنصر مهم في حياة الإنسان بل الحياة بأسرها، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (الأنبياء:٢١). ونظراً لما يثيره لفظ الماء من دلالات معنوية أهمها الحياة، فقد اتخذ الشعراء من صور الماء صوراً ذات دلالات ومعانٍ أخلاقية أهمها: الجود والكرم لأنهما يلتقيان مع الماء في معنى الحياة.

فالماء مثلاً يرد في صور وأشكال متنوعة في الطبيعة، وكل شكل من هذه الأشكال يحمل معنى ودلالة خاصة، فالبحر بعمقه واتساعه يعطي كذلك اتساعاً وعمقاً، في مفهوم الكرم والجود:

كثيراً ما يبرز الشعراء ممدوحيهم في صورة أكثر جمالاً وتفوقاً من الظاهرة الطبيعية، نجد ذلك في قول أبي تمام (ت ٢٣١هـ) يمدح المعتصم(ديوان أبي تمام:٢٩/٣).

هو اليم من أي النواحي أتيته فلجته المعروف والجود ساحله

فمن الملاحظ أن أبا تمام في هذا البيت لا يقف عند حدود الظاهرة الطبيعية، بل يدعهم يفكرون ثم يستقريء أقوالهم و أفكارهم وفي ابتكار خاص يجعل للظاهرة الطبيعية صفات خلقية وسلوكية، فلجة البحر هي المعروف، وساحله هو الجود. ودعك من قولهم إن أبا تمام كان يسطو على معاني غيره من الشعراء، فيضمنها شعره، لأن انتقال معنى من شاعر إلى آخر في أجواء نفسية مختلفة، ومواقف شعورية متعددة يجعل موضوع السرقات الشعرية قضية فيها نظر، وليست مسلمة على إطلاقها.

ـ وغالباً ما لجأ أبو تمام إلى تخطي الظاهرة الطبيعية بإضافة عناصر فنية لها، وذلك بغية تعميق مفهوم القيمة الخلقية وإثرائها بالمعاني والدلالات، كما نرى في قوله يرثي محمد بن حميد الطائي (ديوان أبي تمام: ٨٤/٤):

وكيـــف احتمـــالي للســـحاب صـــنيعة بإســـقائها قـــبرا وفي لحـــده البحـــر

العلاقات التي يقيمها الشاعر في هذا البيت علاقات غير واقعية فالبحر العميق المترامي الأطراف يختزل في هذا القبر المحدود المساحة. إن أبا تمام في صورته السابقة جعل البحر داخلاً في صفات الممدوح (وفي لحده البحر).الكريم لا يجف له ثرى، فهو يعطي عطاء دائماً لا ينقطع، وشاملاً مغدقاً يدخل فيه كثير من الناس فيصيرون أغنياء لا فقراء، قال أبو تمام يمدح خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني (ديوان أبي تمام:١/١٩٤):

يجـــف الثـــرى منـــها وتريـــك لـــين وينبـــو بهـــا مـــاءُ الغمـــام ومـــا تنبـــو

٣-١-٢ الشجر والنبات والزهر

أتاحت صور الشجر والنبات والزهر خيارات تعبيرية متنوعة في الدلالات والمعاني الإنسانية وذلك لتعدد أهمية الشجر في الاستعمال. والمعاني والدلالات التي تبثها صور الشجر والنبات أكثر تفريعاً وتشقيقاً من المعاني والدلالات التي تبثها صور الماء، لأن صور الماء كانت تهدف إلى إبراز المعاني العامة و هو معني الكرم بحد ذاته.

أما صور الشجر والنبات فتهدف إلى إبراز المعاني الثانوية والظلال المحيطة بالمعنى العام، وهذه المعاني الثانوية لها أهمية كبيرة في تعميق القيمة الأخلاقية، وإضفاء السمات الإنسانية عليها.

أ - فالكريم ينتجع العفاة ساحته كما ينتجعون مساقط الغيث ومنابت الكلأ ويستظلون بظله كما يستظلون بظلال الأشجار وفيئها. فرياض الممدوح غير مجدبة يصلها الماء بغزارة وبانتظام دون انقطاع قال أبو تمام (ديوان أبي تمام: ١/ ١٥٢):

إذا أمـــه الفـــاقون ألفـــوا حياضـــه مـــلاءً، وألفـــوا روضـــه غـــير مجـــدب

فالماء وافر والروض يانع غير مجدب لأن الماء يصله بانتظام وبغزارة.

وهو يزرع الأماني والآمال في نفوس من يسأله ويرجو عطاءه، قال أبو تمام يمدح محمد بن عبدالملك الزيات(ديوان أبي تمام: ٣/٩٨-٩٩):

أبـــا جعفـــر أجريـــت في كـــل تلعـــة لنـــا جعفـــراً مـــن فـــيض كفيـــك سلســـلا

رجعت امني خضراً تثني غضونها علينا وأطلقت الرجاء المكيلا

فالأماني تصبح أشجاراً خضراء مدلاة غضونها على السائلين والعفاة.

والصورة بتركيبها الفني الرائع تمنح القيمة الخلقية معان ودلالات غنية، فاللون الأخضر فيه الأمن والسلامة، وتثني الغصون فيها الرعاية والحنو، وقد جاءت هذه الصورة بمعانيها الإنسانية الرفعية بعد صورة النهر العظيم في البيت السابق لتعطي الممدوح صفات ومعاني أخلاقية رفيعة تجمع بين أصالة الخلق ورقة الحضارة ولينها. وقد أتت الأصالة في العطاء في صورة (النهر العظيم) وهي صورة كثيرة التكرار في الشعر العربي وأتت الرقة واللين في صورة الغصون الخضر المدلاة.

وصورة الماء والعشب ترد في شعر أبي تمام تعبيراً عن الأمن والسلامة ورغد العيش، أما الرماح والسيوف التي تطول رؤس الأعداء.. أعداء الأمن والحياة، فهي الدلاء التي تجلب معاني الحياة المستقرة الرغيدة.

قال أبو تمام يمدح المعتصم (ديوان أبي تمام: ٦١/١):

إن الحمامين من بيض ومن سمرٍ دلوا الحياتينمن ماءٍ و من غشب

ـ والكرم شجرة والفضائل الأخلاقية الأخرى فروع لها، فإذا جُذ الأصل ماتت الفروع، واستحال إنباتها بدونه، قال أبو تمام يرثي محمد بن حميد الطائي (ديوان أبي تمام:٨٣/٤).إذا شَجَراتُ العرف جُذَّت أصولها ففي أي فرع يوجد الورق النضر؟ والدلالة التي تمنحها الصورة في هذا البيت لمفهوم الكرم هي أن الكرم أصل الفضائل كلها. وبيت أبي تمام أكثر ثراء وخصوبة في التصوير والفكرة، إذا يشير إلى أن العلاقة بين الكريم وأخلاق الكرم كالعلاقة بين أصل الشجرة وفروعها وموت الكريم بمثابة اجتثاث الأصل من الشجرة، فيستحيل إنباتها وإحياؤها ثانية، وكذلك أخلاق الكرم يستحيل أن تحيا وترجع ثانية بعد موت صاحبها، وتنفق هذه النظرة مع نظرة الفلاسفة، يقول الفارابي (ت٣٣٩هـ):

(لا يمكن أن يفطر الإنسان من أول أمره بالطبع ذا فضيلة ولا رذيلة... ولكن يمكن أن يفطر بالطبع معداً نحو فعال فضيلة أو رذيلة... وذلك الاستعداد الطبيعي ليس يقال له فضيلة...) (فخري، ١٩٧٩م:٦٩/٢).وكان أبو تمام مدركاً للفروق بين الطبع والاكتساب،

ويجيد استعمالها في المدح بحسب الأحوال والظروف المناسبة، فإذا كان الممدوح لاينتمي إلى أصول عربية عريقة كان ميدان التنافس الذي يلائمه هو التخلق واكتساب الأخلاق الفاضلة وليس النسب والأصل، نجد ذلك في مدحه للوزير والكاتب محمد بن عبد الملك بن الزيات يقول (ديوان أبي تمام: ١٠٥/٣):

فلم أجد الأخلاق إلا تخلفا ولم أجد الإفضال إلا تفضلا

ـ وقد يستعمل العود تعبيراً عن أصل الشيء ولبابه، قال أبو تمام يمدح الحسن بن وهب، ويتجه إلى تفسير الاسم بما يناسبه من معاني الفضيلة (ديوان أبي تمام: ٥٤٣/٤):

فتى شق من عود المحامد عوده كما اشتق مسموه له اسما من الحسن

إنه يتخذ من العود تعبيراً عن أصل الإنسان ونسبه وعن أصل الفضائل ومكارمها ثم يجعل الإنسان والأخلاق في عود واحد، وذلك لأن الشاعر يهدف إلى تعميق مفهوم الفضيلة في الممدوح يجعله هو و الفضيلة نفسها شيئاً واحداً لا انفصام بينهما.

يعد التشخيص في أهم الوسائل الفنية التي يتوسل بها الشاعر لبناء صوره الفنية، ويعدّ دحد أهم المرتكزات التي يركز عليها لإيصال معانيه وأفكاره بصور فنية تشعر وتحسّ، وتسمع وتتكلم، فيبث الحياة فيما لا حياة فيه، والتشخيص "إلقاء رداء من الذات على الوجود، ومنحه القدرة على التحسس والشعور، فالوجود جزء من كيان الشاعر، وامتداد خياله، فتمنح الكائنات وعياً إنسانياً يتحسس ويشعر، فيتحول الوجود من صورة واقعية جامدة دقيقة الأصباغ إلى قطعة من حياة ناطقة الملامح(الناعوري، ١٩٧٦: ١٣١) ويرى ناصف" في التشخيص قدرة على التكثيف والاقتصاد والإيجاز(ناصف، ١٩٨٥: ١٣٦).

التشخيص يتمثل في خلع الحياة على المادة الجامدة، والظواهر الطبيعة، والانفعالات الوجدانية، هذه الحياة التي ترتقي فتصبح حياة إنسانية تشمل المواد والظواهر، والانفعالات، وتهب لهذه الأشياء كلها عواطف آدمية وخلجات الإنسانية.

- **والتشخيص** من أهم وسائل الشاعر إلى بناء علاقات بين الأخلاق والصفات الإنسانية العامة، لأن الإنسان والقيم مرتبطان لاينفصمان في المفهوم الإسلامي فالإنسان يجمل بالتدين والخلق القويم ويقبح بعكس ذلك، قال تعالى:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (التين: ٤-٦).

وقد لمسنا في أكثر من موضع أن ثمة ارتباطاً وثيقاً بين مظهر الإنسان وأخلاقه، بل لقد صيغت لذلك الأمثال والحكم في تبيان العلاقة الوثقى بينهما.

ولذا فإن الشاعر حين يلجأ إلى الصفات الإنسانية لبناء صوره الفنية، فإنما يسعى إلى تحقيق عنصر الكمال في القيمة الخلقية من خلال التأكيد على عناصر وصفات عدة منها ارتباط القيمة الخلقية بصاحبها، وديمومتها أي بتوفر العنصر الزماني المستمر فيها، وشمولها لكافة التفاصيل والجزئيات المتعلقة بالقيمة الخلقية ذاتها، وبتكاملها وخلوصها من جوانب النقص التي تقدح في أصالتها.

١٤ المذهب

حيث يصور الشاعر خلق الممدوح بأنه يقتدي بصاحبه في التفاصيل المتعلقة بمذهبه الديني أو السياسي، كما قال أبو تمام في رثاء إدريس بن بدرٍ الشامي القرشي، وكان شعياً (ديوان أبي تمام: ٤/٩٥- ٩٦).

ولم أنس سعي الجود خلف سريره ... بأكسف بال يستقيم ويظلع

وتكبيرة خمسا عليه معالنا ... وإن كان تكبير المصلين أربع

وماكنت أدري ـ يعلم الله ـ قبلها ... بأن الندي في أهله يتشيع

حيث صور الشاعر خلق الجود في الممدوح بأنه إنسان يقلد صاحبه في كل تفاصيل حياته حتى إنه ليقلده في مذهبه الديني في الصلاة على الميت حيث يكبر عليه خمساً اتباعاً لمذهبه الشيعي خلافاً لمذهب أهل السنة والجماعة الذين يكبرون أربع تكبيرات على موتاهم.

في هذه الصورة نرى أن الشاعر قد جعل الفعل السلوكي أو الخلقي نزعة عقائدية مذهبية، وهي من حيث الفاعلية السلوكية والمسؤولية الخلقية أكثر تأثيراً في حياة الإنسان من الأخلاق، لأن الإنسان يستطيع أن يمنح عقيدته كل شيء يملكه، أما الأخلاف فهو يمنحها أقل من ذلك.

منابع أخرى في شعر أبي تمام التي كان أقل حضوراً من المنابع السابقة، **المنبع التراثي** يقول أبو تمام في مدح أحمد بن المعتصم (ديوان أبي تمام: ٢/ ٢٤٩):

إقدام عمرو في سماحة حاتم ... في حلم أحنف في ذكاء إياس
لاتنكروا ضربي له من دونه ... مثلاً شروداً من الندي والباس
فالله قد ضرب الأقل لنوره ... مثلاً من المشكاة و النبراس

فقد استمد الشاعر بعض الرموز العربية الدالة على المعاني الأخلاقية فعمرو بن معدي يكرب كان رمزاً للشجاعة والإقدام عند العرب، وحاتم الطائي كان رمزاً للسماحة والجود، وأحنف بن قيس كان رمزاً للحلم، وإياس بن معاوية كان رمزاً للذكاء، وكان من قوم يظنون الشيء فيكون كما يظنون حتى شهر أمرهم في ذلك.

فأبو تمام استند في بناء صورته الفنية على الموروث الثقافي العربي، من جهة، والموروث الإسلامي من جهة أخرى حين اقتبس بعض صور القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (سورة النور: ٣٥).

ليتحقق الأصالة في المفهوم الخلقي والصورة الفنية على حد سواء.

وثمة مثال آخر يبرز فيه التأثر الواضح بالمؤثرات الثقافية الفاعلة في عصر أبي تمام مثل المعتزلة والجهمية، قال يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف ويعرض بإنسان ولي الثغور مكانه، وكان ناسكاً، فهزم (ديوان أبي تمام:٣٨٧/٢):

عمري عظم الدين جهمي الندى ... ينفي القوي ويثبت التكليفا

شبه الممدوح في دينه وعفته بعمرو بن عبيد وعلى مذهبه، وقد روي (عمري) أي مذهبه في الدين مذهب عمر صلابة وتشدداً، وفي جوده وسخائه على مذهب جهم بن صفوان، لأنه ينفي أن تكون للعبد قدرة على ما هو مأمور به، ومع ذلك يجعله مكلفاً أي هو مجبر على البذل فلا يمكنه تركه (شرح التبريزي نفس الصفحة السابقة والجزء).

وفي هذه القصيدة نفسها يستمد الشاعر بعض صوره من التراث العربي القديم في قوله (ديوان أبي تمام: ٢/ ٣٨٨):

إن كـــان بـــالورع ابـــتنى القـــوم العـــلا	أو بـــــالتقى صـــــار الشـــــريف شـــــريفا
فعـــــلام قـــــدم وهـــــو زانٍ عـــــامر	وأمـــــيط علقمـــــة وكـــــان عفيفـــــا؟!
وبـــــني المكـــــارم حـــــاتم في شـــــركه	وســـــواهُ يهـــــدمها وكـــــان حنيفـــــا؟!

فالصورة التي يريد الشاعر أن يرسمها لممدوحه مستعيناً بالثرات العربي في رسمها هي كما يقول التبريزي في شرح هذا الديوان (أنه ليس كل من قال إني تقي ناسكٌ كان شجاعاً يصلح لأن تقرن إليه الجيوش، وتصل به أمورهم، فيقول لو كان العلا والشرف يكسبان في الدنيا بالورع، لكان الأعشى لا يقدم عامر بن الطفيل ـ وكان زناء ـ على علقمة بن علاثة، وكان عفيفاً، حين تنافرا إليه، غير أن عامراً لما كان أشجع منه و أجمع لخصال الكرم والشرف من البذل والإطعام ونحوهما، فضله الأعشى وأخر صاحبه، وكذلك حاتم الطائي فضل وهو مشرك بإتيانه المكارم، على من يهدمها وإن كان مسلماً) (ديوان أبي تمام بشرح التبريزي: ٢/ ٣٨٨).

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم

- ابن قيم الجوزية. مدارج السالكين. تحقيق محمد حامد الفقي. ط٢، بيروت: دارالكتاب العربي، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
- ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب(٦٩١هـ-٧٥١هـ). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين(٣مج). القاهرة: دارالحديث، بدون طبعة ولا سنة نشر.
- ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبدالله(ت٧٥١هـ). الروح. تحقيق محمد اسكندر يلدا. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٤م.
- ابن قيم، محمد بن أبي بكر. مدارج السالكين. تحقيق: رضوان جامع رضوان، الأزهر: المكتب الثقافي، ٢٠٠١م.
- ابن مسكويه ت((٤٢١هـ)).تهذيب الأخلاق. ط بحمد على صبيح، ١٩٥٩م.

- ابن منظور، أبو فضل جمال الدين. لسان العرب. ط١. بيروت، لبنان: دار إحياء التراث، مؤسسة التاريخ العربي: ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. لسان العرب. الطبعة الأولى، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٥٥م.
- أبو تمام. حبيب بن أوس. الديوان الكامل. شرح وتعليق شاهين عطية. بيروت: دار صعب، بلا.ت.
- إحسان، عباس. فن الشعر. بيروت: دارالثقافة، (د.ت).
- الأصفهاني، أبوالفرج على بن الحسين. الأغاني. شرحه عبد على مهنّا. الطبعة الثانية. بيروت: دارالكتب العلمية، ١٤١٣م.
- الأصفهاني، الراغب(د.ت).المفردات في غريب القرآن. تحقيق محمد سيد كيلاني. مصر: مطبعة مصطفي الحلبي، بلات.
- الأصفهاني، الراغب. حسين بن محمد. مفردات ألفاظ القرآن. تحقيق صفوان داوودي. ط الثالثة. دمشق: دارالقلم، ١٤١٨هـ.
- التبريزي، أبو زكريا يحيي بن على. شرح ديوان أبو تمام. تحقيق محمد عبده عزام. ط٢. مصر: دار المعارف، ١٩٦٥م.
- التبريزي، أبوزكريا يحيي بن على. شرح ديوان أبي تمام. قاهرة: دارالمعارف بمصر، ١٩١٣م.
- التبريزي، أبوزكريا يحيي بن على. شرح ديوان الحماسة. قاهرة: دارالمعارف بمصر، ١٩٦١م.
- التبريزي، الخطيب. الوافي في العروض والقوافي. تحقيق عمر يحيي؛ وفخر الدين قباوة. ط٢. دمشق: دارالكفر، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- التبريزي، الخطيب. شرح ديوان أبي تمام. ضبطه راجي الأسمر. بيروت: دارالكتاب العربي، ٢٠٠٥م.
- الحاوي، إيليا. أبو تمام، فنه ونفسيته من خلال شعره. دراسة ونصوص دار الثقافة، ١٩٤٧م.
- الحاوي، إيليا. شرح ديوان أبي تمام. بيروت: دارالكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م.
- الحاوي، ايليا. أبو تمام، شرح الديوان. بيروت: دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.
- الخفاجي، محمد عبدالمنعم. الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي. الطبعة الأولى. بيروت: دارالجيل، ١٩٩٠م.

- الخن والاخرون، مصطفي سعيد. نزهة المتقين شرح رياض الصالحين. ط١٥. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨ه/١٩٨٨م.
- ديوان أبي تمام .تقديم وشرح الدكتور محيي الدين صبحي. بيروت: دارصادر، ١٩٩٧م.
- زاهر، جمال. محاضرات في الأدب العباسي. القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٤م.
- الصولي، أبو بكر محمد بن يحيي(ت٣٣٥ه/٩٤٦م. أخبار أبي تمام. تحقيق خليل محمود عساكر وآخر. ط٣، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٠م.
- الصولي، أبوبكر محمد بن يحيي. شرح الصولي لديوان أبي تمام. بتحقيق خلف رشيد نعمان. الطبعة الأولى. الجمهورية العراقية: وزارة الأعلام، ١٩٧٧م.
- الصولي، أبوبكر. شرح الصولي لديوان أبي تمام. تحقيق د.خلف رشيد نعمان. الجزء الثاني. بيروت: سلسلة كتب التراث منشورات وزارة الثقافة والفنون الجمهورية العراقية، دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٧٨م.
- الصولي، أبوبكر. شرح الصولي لديوان أبي تمام. تحقيق: د.خلف رشيد نعمان: الجزء الثالث، الكويت: سلسلة دراسات منشورات وزارة الثقافة والإعلام الجمهورية العراقية مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، ١٩٨٢م.
- فخري، ماجد. الفكر الأخلاقي العربي. الفلاسفة الأخلاقيون. بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٧٩م.
- الماروديي، أبو الحسن. النكت والعيون. تحقيق السيد عبدالمقصود، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م.
- الماروديي، أبو الحسن. تسهيل النظر وتعجيل الظفر. تحقيق محي الدين السرحان، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٥٣م.
- الماروديي، على بن محمد. أدب الدين والدنيا. شرح وتعليق محمد كريم راجح، بيروت: دار إقرأ، ١٩٨٦م.
- محاسني، زكي. شعر الحرب في ادب العرب في العصر الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة. مصر: دار المعارف، ١٩٦١م.
- معلوف، لويس. المنجد في اللغة. الطبعة الثالثة والثلاثون. بيروت: دارالمشرق، ١٩٩٢م.
- الرباعي، عبدالقادر. الصورة الفنية شعر أبي تمام. طبعة أولى، منشورات جامعة اليرموك، ١٩٨٠م.

- ابن هذيل، أبي الحسن على بن عبدالرحمن. عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- ابن قيم الجوزية. مدارج السالكين. ط١، القاهرة: دار التراث العربي، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- ناصف، مصطفي. الصورة الأدبية. مصر: مكتبة مصر، ١٩٨٥م.
- الناعوري، عيسى. أدب المهجر. مصر: دار المعارف، ١٩٧٦م.